جهود الإمام شهاب الدين القرافي(٦٢٦هـ -٦٨٤هـ) ومنهجه في الرد على شبهات النصارى الخاصة بالإلهيات من خلال كتابه الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على الملة الكافرة.

لبنى أحمد كمال الشعراوي (*)

أولاً : شبهة إلوهية المسيح عليه السلام عند النصارى ورد الإمام القرافي عليهم .
ثانياً : شبهة بنوة المسيح عليه السلام عند النصارى ورد الإمام القرافي عليهم .
ثالثاً : شبهة التثليث عند النصارى ورد الإمام القرافي عليهم .
رابعاً: شبهة الأقانيم عند النصارى ورد الإمام القرافي عليهم
خامساً:شبهة الاتحاد عند النصارى ورد الإمام القرافي عليهم .

أولاً : شبهة إلوهية المسيح عليه السلام عند النصارى ورد الإمام القرافي عليهم .

عرض الإمام القرافي شبهة إلوهية المسيح عيسى عليه السلام موضحاً اعتماد النصراني على أدلة من القرآن ليبين موافقة الإسلام لمذهبهم فقال :" قالت النصارى :وافقنا المسلمون على أن المسيح عليه السلام كان يحيي الموتى،وإحياء الموتى مختص بالله تعالى، فيصبح قولنا :إن المسيح هو الله تعالى، ويبطل قول المسلمين أنه عبد من عبيد الله ، لأن إحياء الموتى دليل قاطع على ذلك، ولذلك بعث الله النبيين على كثرتهم، ولم

(*) هذا البحث مستل من من رسالة الدكتوراه الخاصة بالباحثة، وهي بعنوان: [جهود علماء العقيدة في رد شبهات غير المسلمين خلال القرنين السادس والسابع الهجريين (الإلهيات أنموذجاً)]، تحت إشراف: أ.د. خالد عبد الحليم السيوطي – كلية الآداب – جامعة سوهاج & أ.د. أحمد شوره ضاوى - كلية الدراسات الإسلامية والعربية بقنا جامعة الأزهر.

يكن فيهم من يحيي الموتى، فدل ذلك على أن الإحياء لا يكون إلا لله"(١) ، ولذلك فإن النمرود لما تعدى طور العبودية حاجه إبراهيم عليه السلام أن الله يحيي الموتى- ويميت الأحياء- ولولا أن الإماتة والإحياء خاصان بالله تعالى لم يحسن ذلك من إبراهيم عليه السلام ، وحيث وافق المسلمون على صحة ذلك قامت الحجة القاطعة على المسلمين بربوبية المسيح عليه السلام. وصحة قول النصارى، وأن المسلمين هم المشركون، لجعلهم مع الله من يشاركه في إحياء الموتى، وأن النصارى هم الموحدون لأنهم لم يشركوا مع الله تعالى غيره في خواص ملكه، وهو سؤال عظيم على المسلمين مثبت لشركهم، ووحدانية النصارى ، وأعظم دليل على صحته تصديق القرآن لصحته بقوله تعالى : (قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ)(٢) ، فجعل تعالى الإحياء لمن له الإنشاء ، وعيسى عليه السلام أحياها ؛ فيكون أنشأها أول مرة، وهذا هو الله قطعا"(٣)

رد الإمام القرافي على هذه الشبهة من عدة وجوه منها :

الوجه الأول قال :" أنكم لم تفهموا قول الله تعالى في القرآن، ولا قول المسلمين :أن عيسى عليه السلام كان يحيي الموتى ، فإن المسلمين من أولهم إلى آخرهم متفقون على أن الإحياء والإماتة لا يكونان إلا لله تعالى ، ويستحيل أن يجعل ذلك لأحد من الخلق كائنا من كان، وأن عيسى عليه السلام لم يحي قط ميتاً ولا أبرأ أكمه ولا أبرص، وإنما الفاعل لهذه الأمور هو الله تعالى عند إرادة المسيح عليه السلام، لا أن المسيح عليه السلام كان يفعل ذلك "

الوجه الثانى: قال الإمام القرافي :" المراد نفس الإحياء في قوله تعالى : قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ " فلا يحيي على الحقيقة إلا المنشئ فاندفع الإشكال واجتمعت النصوص من غير تناقض وصح مذهب

---

(١)الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على الملة الكافرة .للإمام القرافي صـــ٨٩

(٢) سورة يس آية (٧٩)

(٣)الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على الملة الكافرة .للإمام القرافي صـــ٨٩

أهل الإسلام، وأنهم هم الموحدون حقا "(١)

الوجه الثالث: قال الإمام القرافي :"سلمنا إن الإماتة والإحياء أنفسهما كان يفعلهما ، لكن شهد الإنجيل أن الحواريين كانوا يفعلون ذلك ، بل نص الإنجيل على أن كل من استقام على شريعة عيسى عليه السلام يفعل كفعله ، وأن داود عليه السلام أحيا ميتاً بعد مائتى سنة ، وأن إلياس واليسع وحزقيال وغيرهم كانوا يحيون الموتى فإن كان هذا يدل على الربوبية والإلهية فليكن الحواريون كلهم وداود آلهة مساوين للمسيح عليه السلام في الإلوهية ، وجميع ما ينسب إليه ، ولما لم يقل بذلك أحد ، دل على بطلان ما اعتمدوا عليه في إلوهية عيسى عليه السلام، فإن قالوا غير عيسى عليه السلام كان يحيي بإذن الله تعالى بخلافه ، قلنا : هذا قائم في حق عيسى عليه السلام وهو أنه إنما كان يحيى بإذن الله تعالى فيستوون "(٢)

الوجه الرابع:ذكر الإمام القرافي ما جاء في إنجيل متى من قصة أخذ إبليس يسوع المسيح وإخراجه إلى البرية ليجربه فمضى به إبليس وأخرجه إلى البرية ليجربه وأقامه على جناح الهيكل، فقال المسيح عليه السلام: لا تجرب الرب إلهك ،فقد صرح المسيح في هذه القصة :" بأنه يعبد الله تعالى ويسلك الأدب معه على سنن العباد في عدم تجربة الرب تعالى ، وكيف يجرب إبليس المسيح عليه السلام ويسحبه من مكان إلى مكان ؟ ويسومه السجود له ؟؟، وهو خالق كل شيء وإله العالم عندكم ؟ ، وعلى هذا التقدير يكون إبليس لا مطمع له فيه ، فلما طمع فيه عامله بتلك المعاملة واعترف المسيح عليه السلام بالعبودية ولزوم الأدب مع الله تعالى دل ذلك على أنه عبد لا رب ، هو المطلوب.

الوجه الخامس: ذكر الإمام القرافي ما جاء في إنجيل متى أن يوحنا المعمدان قتل في السجن وهو يحيي بن زكريا ...فجاء التلاميذ فأخبروا يسوع عليه السلام بمصاب يوحنا فجزع يسوع وخرج من وقته من الموضع

---

(١)الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على الملة الكافرة .للإمام القرافي صــــ٨٩

(٢) المصدر السابق صــــــ٩٠

الذي كان فيه منفرداً ، والله تعالى عالم بجميع المعلومات محيط بسائر الكائنات ، قادر على جميع الممكنات ، جلباً ودفعاً وإعطاء ومنعاً ، فلم لم يعلم المسيح عليه السلام حتى أخبره التلاميذ وخاف من الجبار لعجزه عن دفع الجبابرة ؟ كان ذلك دليلاً قاطعاً على أنه محتاج خلق من جملة الخلق له ما لهم وعليه ما عليهم ، وهو المطلوب ، **فإن قالوا :**نحن نسلم أن يسوع عليه السلام يخاف ويتألم ، ويجوع ويعطش وتصيبه جميع آفات البشر ، لكن ذلك مخصوص بناسوته دون لاهوته ، **قلنا** : الاتحاد عندكم لم يبق اللاهوت متميزاً عن الناسوت ، فذلك لا يمكنكم تخصيص أحوال البشرية بها .

الوجه السادس: ذكر الإمام القرافي ما جاء في إنجيل متى أن رجلاً قال رجل للمسيح عليه السلام : يا معلم صالح ، فقال له :" لا تقل لي صالحاً لا صالح إلا الله تعالى الواحد" ، فأضاف المسيح عليه السلام لربه الوحدة وخصصه بالصلاح ونفاه عن نفسه ، وذلك ينافى الإلوهية ويثبت العبودية ويبطل التثليث وهو المطلوب .

الوجه السابع : ذكر الإمام القرافي ما جاء في إنجيل متى أن يسوع عليه السلام مر بشجرة وقد جاع ، فقصدها فلم يجد فيها سوى الورق فقال : لا تخرج منك ثمرة إلى الأبد ، فيبست الشجرة لوقتها ، فتعجب التلاميذ فقالوا : كيف يبست ؟ فقال لهم : الحق أقول لكم : إنه لو كان لكم إيمان بغير شك وقلتم للجبل تعال واسقط في البحر لفعل ، وكان كل ما سألتموه تنالوه " ، وذلك يدل على عدم ربوبيته من وجوه :

احدها : جوعه وهو ينافى الربوبية ويثبت العبودية

ثانيها :عدم علمه بعدم ثمرة الشجرة والله تعالى بكل شيء عليم ، فدل على أنه بشر لا يعلم إلا ما علم ، وذلك يثبت عبوديته وينافى إلوهيته .

ثالثها : غضبه على الشجرة لأنه لما أنحزم عليه أمله قوى غضبه وهذه خاصية البشرية ومنافية للربوبية .

رابعها : تعجب التلاميذ من يبسها بقوله ولو كانوا يعتقدون أنه الله تعالى لم يعجبوا من ذلك ، فإن يسوع عند النصارى هو الحق الخالق العالم ، والذى تاب على آدم وبيده كل شيء والتلاميذ لم يعتقدوا ذلك ، فدل على

عبوديته عليه السلام وضلال النصارى

خامسها : ذكر الإمام القرافي ما جاء في إنجيل مرقس على لسان المسيح :" إن نفسى حزينة حتى الموت ثم خر على وجهه يصلي لله تعالى وقال :"أيها الرب كل شيء بقدرك أخر عنى هذا الكأس ، لكن كما تريد لا كما أريد أنا

وهو يدل من وجوه :

أحدها : أنه وصف نفسه بالحزن والله تعالى لا يحزن ، بل هو من خصائص البشر .

ثانيها : قول مرقس : يصلى لله تعالى " والمعبود غير العابد فلا يكون هو يكون الله

ثالثها : أنه أخبر عنه أنه سأل تعالى تأخير الموت ، والسائل غير المسئول فلا يكون هو الله تعالى .

رابعها :قوله : " كما تريد لا كما أريد " جعل إرادة الله تعالى فوق إرادته فلا يكون هو الله تعالى ، وهذه الوجوه كلها دالة على عدم الربوبية وإثبات العبودية وهو المطلوب "(١)

وأثبت الإمام القرافي عبودية المسيح لكونه جسماً ولحماً فقال :" نقول الإله الواحد الأزلي جسم ولحم ودم أم يستحيل عليه ذلك ؟؟ ، فإن أحالوا عليه ذلك خرج المسيح عليه السلام من الربوبية ، لأن الأناجيل الأربعة تشهد بأنه لا يباين البشر في شيء ، وإن لم يحيلوا ذلك كذبتهم التوراة والإنجيل والنبوات

وزاد على ذلك بالأدلة من التوراة والإنجيل والقرآن فقال :" **ففي التوراة** :" لا تشبهوني بشيء مما في السموات فوق ، ولا في الأرض أسفل ، ولا في البحار تحت ولا بشيء "(٢) ، **وهو قول القرآن الكريم**:" لَيۡسَ

(١)الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على الملة الكافرة .للإمام القرافي ص٩٢-٩٣

(٢)«أيها الرب إله إسرائيل، ليس إله مثلك في السماء من فوق، ولا على الأرض من أسفل، حافظ العهد والرحمة لعبيدك السائرين أمامك بكل قلوبهم" سفر الملوك الاول (٨: ٢٣)

كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ " [(١)] ، **وفى الإنجيل :**" إن الله لا يأكل ولا يشرب ، أحد فقط " ، **وفى المزامير** : " يارب أنت صانع العجائب ولا نظير لك "[(٢)]

وأثبت الإمام القرافي عبودية المسيح لكونه غير محيط بالعلم كله فقال :" نقول لهم : الله تعالى بكل شيء عليم أم لا ؟؟، فإن قالوا :لا ، كذبتهم كتبهم لقول المسيح عليه السلام : لا يعلم القيامة إلا الله تعالى " ، وإن قالوا : نعم ، بطل اعتقادهم فى ربوبية المسيح عليه السلام فإن نصوص الإنجيل تقتضي عدم علمه بالمغيبات ، كقوله عليه السلام لمريم ومرتا أم إلعازر حين مات :" أين دفنتموه ؟ فعرفوه بمكانه فأحياه ،والأدلة كثيرة في الإنجيل ، ومن هو موصوف بنقائص البشر لا يصلح للربوبية "[(٣)]

وأثبت الإمام القرافي عبودية المسيح لكونه تعرض للحياة والموت فقال :" قالوا : المسيح عليه السلام مات ثم عاش ، فنقول لهم : من أحياه ؟ ، فإن قالوا : نفسه ، قلنا وهو حي أو ميت ؟ ، فإن قالوا : وهو حي ، لزم تحصيل الحاصل ، وإن قالوا :"وهو ميت " لزمهم المحال ، لأن الخالق للحياة لا يمكن أن يكون ميتاً ، بل أقل أحواله أن يكون عالماً بمن يحييه ، وقيام العلم بغير الحي محال ، وإن قالوا :" أحياه غيره وهو الذي أماته " ، لزمهم أن يكون المسيح عبداً مربوباً ، وهو المطلوب "[(٤)]

ثانياً : شبهة بنوة المسيح عليه السلام عند النصارى ورد الإمام القرافي عليهم .

تطرق الإمام القرافي لذكر شبهة بنوة المسيح لأنها من أكثر الشبهات عند النصارى ووضح الإمام القرافي ضلال النصارى الذي ألجأهم إلى أنه

---

(١) سورة الشورى آية (١١)

(٢)"لا مثل لك بين الآلهة يا رب، ولا مثل أعمالك. "سفر المزامير (٨:٨٦) ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على الملة الكافرة .للإمام القرافي صـــ١٢٤

(٣)لأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على الملة الكافرة .للإمام القرافي صـ١٢٥

(٤)الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على الملة الكافرة .للإمام القرافي ص١٢٦

ابن الله بأنه خلق من غير أب فقال الإمام :" ومن العجب أنهم يحتجون على ضلالهم بأن الذي ألجأهم إلى أنه ابن الله تعالى الله عما يقولون كونه خلق من غير أب من البشر ، فيتعين أن يكون أبوه هو الله تعالى وآدم أولى منه بذلك ، لكونه خلق من غير أب ولم يباشر الأرحام لا سقم الأطفال ، ولا تطور في أطوار البشر."(١)

ووضح الإمام القرافي ضلال النصارى واعتبروا المسيح ابناً بحكم نصوص القرآن ونصوص من الإنجيل فقال الإمام القرافي :" قال النصارى : قال المسيح عليه السلام في خاتمة الإنجيل :"إني ذاهب إلى أبى وأبيكم وإلهي وإلهكم "فسوى بين نفسه وبين غيره في الأبوة والبنوة ، لأن المراد بها أن الله تعالى يحسن لخلقه إحسان الآباء للأبناء بل أشد ، وهذا مشترك بين عيسى عليه السلام وبين الخلق فذلك سواء بسواء ، وهو معنى قول اليهود في القرآن : نحن أبناء الله وأحباؤه "(٢)

رد الإمام القرافي على هذه الشبهة وأثبت اختلاف مدلول اللفظ في نصوصهم وقال :"والنصارى يحكمون بأبوة الولادة بقول : أبى " ويغفلون عن قوله :" وأبيكم " وعن قوله :وإلهي دون ذكر وإلهكم وتصريحه عليه السلام بأنه مخلوق مربوب له إله يعبده ورب يدبره كسائر المخلوقات "

واستدل الإمام القرافي بأدلة من الإنجيل والتوراة للفظ الآب والابن والإله المجازية :

- ما جاء في التوراة قال يوسف عليه السلام :" لستم أنتم الذين بعتمونني ، بل الله قدمني أمامكم وجعلني أباً لفرعون " أي مدبراً له "

- ما جاء في التوراة قال تعالى :"إسرائيل ابني بكري " أي أعز الأولاد ، بمعنى أعامله أفضل ما أعامل به الخلق .

-ما جاء في الإنجيل إن المسيح عليه السلام علم تلاميذه هذه السورة وهى :" يا أبانا الذي في السموات قدوس اسمك يأتي ملكوتك تكون مشيئتك في السماء كذلك يكون في الأرض " إلى آخر السورة ، فقد أطلقوا على الله

(١)المصدر السابق صـ١٢١
(٢) سورة المائدة آية (١٨)

تعالى الأبوة بالنسبة إليهم وهى أبه"

- غلطوا في لفظة الرب والإله ، والمراد بالرب المربي والإله المسلط، وفيها قال الله تعالى لموسى عليه السلام :" قد جعلتك إلها لفرعون " ، يريد مسلطاً عليه."(١)

ووضح الإمام القرافي رحمه الله اختلاف النصارى في سبب اعتبار المسيح ابناً لله فقال:" ١-منهم من يقول :" إنما كان ابناً مسيحاً ،لأن الله مسحه بدهن "، وهو باطل ، لأنه يلزم أن يكون داود وغيره ابناً ومسيحاً لله تعالى ، لقول داود عليه السلام في المزامير :"صبياً كنت في غنم أبي ، فأخذني ربي ومسحنى بدهن مسحته ".

٢- منهم من قال :بل لأنه سماه ابنه ، وهو باطل لما في التوراة أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام :" ابن بكرى إسرائيل " ، والبكر أجل الأولاد ، فيعقوب عليه السلام أولى بالنبوة "

٣- منهم من قال : بل لأنه أحسن ترتيبه وتأديبه ، وهو باطل ، فإن مربيه امرأة ، ولم يكن الملائكة تلازم بابه وحفظه وتعليمه ، بل هو كسائر الأنبياء عليهم السلام فى النشأة لم يوجد في حقه زيادة توجب البنوة "

٤- ومنهم من قال :بل لأنه أطاع الله تعالى فأعطاه ما لم يعط غيره فاتخذه ابناً ، قلنا : ففي التوراة :"أن موسى عليه السلام عمر مائة وعشرين سنة " وإذا طرحنا عمر الصبي بقى عمر المسيح عليه السلام خمس عمر موسى عليه السلام فأعماله أعظم وحكيتم أن موسى عليه السلام ملك جانباً من لأرض كبيراً وقاتل الجبابرة ، وجاهد العمالقة وأباد الفراعنة ، وقتل عوجاً مبارزة ، وواصل لله تعالى أربعين يوماً وأربعين ليلة لا يذوق طعاماً ....وهذه أعمال عظيمة لم يوجد مثلها للمسيح عليه السلام أو وجد ما يعادلها فليكن موسى عليه السلام ابناً لله تعالى .

٥-منهم من قال :" بل حلول العلم الإلهي أو الكلام على خلاف بينهم فى مريم فتجسد إنساناً فكان ابناً وهذه مزية لم توجد لغيره " ، فالعلم والكلام

(١)الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على الملة الكافرة .للإمام القرافي صـ١٢١

معنيان ، وأن المعاني يستحيل انتقالها ، ولو انتقلت لزم خلو ذات الله تعالى عنها ، والكل محال ، فالقول بالبنوة محال "(١)

ثالثاً : شبهة التثليث عند النصارى ورد الإمام القرافي عليهم

عرض الإمام القرافي شبهة التثليث وأطال في الرد على النصراني حتى أنه رد على كل جملة بمفردها دالاً بذلك على قوة رده وقوة حجته فقال :" قال النصراني :" لو علم المسلمون مرادنا بالأب والابن والروح القدس لما أنكروا علينا ، **فإن مرادنا بالأب : الذات ، وبالابن : النطق الذي هو قائم بتلك الذات وروح القدس : الحياة ، الثلاثة إله واحد** ، وهذه الثلاثة يعتقدها المسلمون ، ونحن لن نطلق ذلك من قبل أنفسنا ، بل في الإنجيل قال عيسى :" اذهبوا إلى سائر الأمم وعمدوها باسم الآب والابن والروح القدس " وفى أول القرآن : بسم الله الرحمن الرحيم ...، فاقتصر على هذه الثلاث : الآب والابن والروح القدس ، **ونريد بقولنا :" المسيح ابن مولود من الله تعالى** " فلا حدث قبل الدهور وأنه لم يزل نطقاً ولم يزل الله تعالى ناطقاً، ثم أرسل الله تعالى نطقه من غير مفارقة الأب الوالد له ، كما ترسل الشمس ضوءها من غير مفارقة القرص الوالد له ، وكما يرسل الإنسان كلامه إلى غيره من غير مفارقة العقل الوالد له ، فتجسم النطق إنساناً من الروح القدس ومن مريم رضي الله عنها ، وولد منا بالطبيعة البشرية لا بالإلهية ، فإذا قلنا : المسيح ابن الله تعالى لا نريد بنوة بشرية ، وأن له ولداً من صاحبه ، وقد أثبت القرآن الولد بمعنى النطق كقوله تعالى :" وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ"(٢) ، وسبب تجسيم كلمة الله تعالى إنساناً أن الله تعالى لا يخاطب إلا بحجاب ، لأن اللطائف لا تظهر إلا في الكثائف ، فظهر في الإنسان لأنه أشرف خلقه كما خاطب موسى عليه السلام من العوسجة ففعل المعجز بلاهوته وأظهر المعجز بناسوته والفعلان للمسيح عليه السلام كما تقول : زيد ميت بجسده باق بنفسه ، لذلك صلب الناسوت دون اللاهوت ، كما أن الحديدة المحماة يطرق حديدها أو يقطع دون ناريتها"

---

(١)الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على الملة الكافرة .للإمام القرافي صـ١٥٦

(٢) سوررة البلد آية (٣)

وكذلك سمى القرآن عيسى عليه السلام روح الله وكلمته واسمه عيسى ، فيكون الخالق واحداً وهو الأب ونطقه وحياته ، ولا يلزم تعددها تعدد الخالقين ،كما تقول : الخياط خيط الثوب ، ويد الخياط خيطت الثوب ، ولا يلزم أن يقال :خيط الثوب خياطان ، بل خياط واحد ، كذلك قولنا : الله تعالى وروحه وكلمته إله واحد ، ولا يلزمنا أنا عبدنا ثلاثة ، كما لا يلزم إذا قلنا عقل الإنسان ونطقه وحياته ثلاثة أناس "[١]

رد الإمام القرافي على هذه الشبهة وفصلها تفصيلاً دقيقاً رادا على النصراني بالآتي :" أما قوله :" نريد بالأب ، والابن : النطق ، وبروح القدس : الحياة ،فرد الإمام القرافي وقال :" فلا كفر فيه ، وإنما الإطلاق منكر"

وأما ما اعتمد عليه من نص الإنجيل، فرد الإمام القرافي وقال :" أن إنجيلهم ليس شيئاً يعتمد عليه ، ولا هو مضبوط النقل ولا مضبوط العين ، ولا يوثق بشيء منه في الدين، **وأما ما في القرآن** من " بسم الله الرحمن الرحيم " فتفسيركم له غلط وتحريف ، كما فعلتم في الإنجيل ، لأن الله تعالى عندنا في البسملة معناه : الذات الموصوفة بصفات الكمال ونعوت الجلال ، والرحمن الرحيم وصفان له سبحانه وتعالى باعتبار الخير والإحسان الصادرين عن قدرته فإن صفات الله تعالى منها سلبية نحو : الأزلي " أي لا أول له ، والصمد : أي لا جوف له ، ومنها ثبوتية قائمة بذاته وهى سبعة : العلم ، الإرادة ، القدرة ، الحياة ، الكلام ، السمع ، البصر ، ومنها فعلية خارجة عن ذاته تعالى يستحيل قيامها به نحو : الرزق والهبات والخلق والإحسان ، فتسميته الرزاق ، والوهاب والخالق ، والمحسن باعتبار أفعاله لا باعتبار صفة قديمة بذاته ، فالرحمن معناه : المحسن في الدنيا والآخرة لخلقه بفضله والرحيم معناه المحسن في الآخرة خاصة لخلقه بفضله، لذلك يقال:" يا رحمن الدنيا والآخرة ويا رحيم الآخرة " ، فالرحمن أبلغ من الرحيم لشموله الدارين ، وأما النطق والحياة فلا مدخل لهما في الرحمن

(١)الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على الملة الكافرة .للإمام القرافي صـ٥٩

الرحيم " بل هو تحريف منه للقرآن ، وإذا بطل المستند من الأناجيل والقرآن حرم هذا الإطلاق ، فإن إطلاق الموهمات لما لا يليق بالربوبية يتوقف على نقل صحيح ثابت عن الله تعالى وليس هو عندكم ، فكنتم عصاة بهذا الإطلاق"(١)

وأما قوله :" أن النطق موجد " فرد الإمام القرافي وقال :" فغلط ، فإن الموجد إنما هو القدرة دون غيرها وكل صفة من صفات الله تعالى لها خاصية لا توجد لغيرها ...والكلام النفسي الذي هو النطق يكون منه الأمر والنهى والخبر والاستخبار دون التأثير ، فلا يجوز أن يعتقد أن الإيجاد إلا للقدرة ليس إلا"(٢) .

قوله :" ونريد ببنوة المسيح ولادته من الله تعالى بلا حدث ،أنه لم يزل نطقاً ، ولم يزل الله تعالى ناطقاً "فرد الإمام القرافي وقال :" قلت : هذا كلام غير معقول أصلاً إلا على وجه لا يبقى لدين النصرانية أثر ، وتقريره : إن النطق صفة قائمة بذات الله تعالى ، وقد سلمتم ذلك فهو من المعاني لا الأجسام ، بل هو كالعلم والحياة والإرادة ، فإن أردتم أن عيسى عليه السلام المتجسد أنه لم يزل هذه الصفة المعنوية فهو من باب قلب الحقائق الذي يستحيل وقوعه في زمن من الأزمان ، فضلاً عن كونه لم يزل كذلك ، كما يستحيل أن السواد يكون بياضاً ، والعلم يكون طعاماً ، ولرائحة تكون لوناً ، وكذلك يستحيل أن يكون النطق إنساناً فهذا التفسير غير معقول ولا متصور ، وإن أردتم أنه لم يزل الله تعالى يخبر عن وجود عيسى عليه السلام في أزله ، فهو صحيح مقصود ، لأن خبر الله تعالى يتعلق بجميع الأشياء الموجودات والمعدومات والماضيات والحاضرات والمستقبلات ، لكن هذا التفسير لا يبقى معه لدين النصرانية وجود ، فإن خبر الله تعالى كما يتعلق بوجود عيسى عليه السلام يتعلق بوجود كل واحد من اليهود وغيرهم في الأزل ، ولم يزل كل واحد من اليهود نطقاً بهذا التفسير فينبغي أن يكون كل واحد من اليهود أبناً لله تعالى ولا مزية لعيسى على أحد من اليهود في

---

(١)الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على الملة الكافرة .للإمام القرافي صـــــ٦١

(٢)المصدر السابق نفس الصفحة

ذلك ، بل ولا على احد من الحشرات ، وأن أردتم تفسيراً ثالثاً فقولوه ، فإنه غير معقول من قولكم : لم يزل المسيح عليه السلام نطقاً ، فظهر أن أحد الأمرين لازم وهو : إما إبطال مذهب النصارى ، أو يكون كلامهم غير معقول ، فضلاً عن إقامة الدليل عليه فإنهم لا يتكلمون إلا بكلام مثل هذا لا ليتحصل منه شيء "(١)

وقول:" ثم أرسل الله نطقه من غير مفارقة " ، فرد الإمام القرافي وقال :"هذا غلط وعمى وعدم بصيرة ، فإن إرسال الشيء اتصاله بغيره المباين له ، وهو غير معقول في كل صفة من الصفات (النطق وغيره) ، فيستحيل إرسال الألوان والطعوم والروائح والعلوم والظنون إلا مع انتقال محالها ، أما بمفردها فمحال ببديهة العقل ، ومن شك في ذلك فليس بعاقل ، ومحل هذا النطق يستحيل عليه الحركة والاتصال والانفصال ، فإنه ليس بجسم باتفاق الفريقين ."(٢)

وأما قوله :" إرسال الشمس لضوئها "، فرد الإمام القرافي وقال:" فليس معناه أن صفة قائمة بالشمس اتصلت بالغير ، بل الله تعالى يخلق الأنوار والأضواء في أجرام الهواء الكائن بين السماء والأرض ، فالضوء الحاصل في كل جزء من الهواء غير الضوء الحاصل في الجزء الآخر ، وغير الضوء القائم بجرم الشمس ، فههنا صفات عديدة وموصوفات كثيرة ، لم يرسل منها صفة واحدة بل كل صفة لازمة لمحلها لم تفارقه ، فإن أردتم : أن الله تعالى خلق في عيسى عليه السلام نطقاً بما طلبه الله تعالى من العباد أو بغيره ، فكذلك سائر الأنبياء عليهم السلام ، بل العلماء والمشرعون كذلك خلق الله تعالى في نفوسهم الإخبار عن أحكامه تعالى ، فإن كان عيسى عليه السلام بهذا أبناً فالعلماء كلهم كذلك ، وإلا فلا أحد من خلق الله تعالى ابناً وهو الحق ."(٣)

وقوله :" فتجسم النطق إنساناً من الروح القدس ومن مريم رضي

---

(١)الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على الملة الكافرة .للإمام القرافي ص٦١

(٢)المصدر السابق نفس الصفحة

(٣)المصدر السابق ص٦١

الله عنها إلى آخر كلامه ": قلت :" هذا موضع الخبط والجهل والكفر وعدم الإنسانية بالكلية ، كيف يتخيل العاقل أن النطق يصير جسماً ؟؟ ...وكيف يتخيل عاقل أن المعاني تنقلب أجساماً مع أن المعنى مفتقرة للمحال لذاتها ، والأجسام مستغنية عن المحال لذاتها ، فكيف ينقلب المفتقر لذاته مستغنياً لذاته ، وذلك كانقلاب الممكن واجباً لذاته ، والزوج فرداً والفرد زوجاً ، والسواد بياضاً ، فإن كنتم تجوزون هذا كله وليس لكم من العقول ما تدركون به هذه الأحكام وهو الظن بكم سقطت مكالمتكم لأن الكلام مع البهائم عبث وسفه..، وإن كنتم تعقلونها فارجعوا عن قولكم :" تجسم النطق الرباني في عيسى ابن مريم " واعترفوا ببطلان النبوة المبنية عليه ، وإن عيسى عليه السلام فيه وجهان واعتباران :هو من وجه إله ومن وجه إنسان ..، فالآفات والصلب ترد على الوجه الإنساني، ويصير هذا العالم كله كفراً وجنوناً لأن المبنى على الأصل الفاسد فاسد."(١)

قوله :" إن القرآن الكريم أثبت هذه النبوة بقوله تعالى :" وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ "(٢)، **فرد الإمام القرافي وقال :"** هذا افتراء على الله تعالى وعلى كتابه وعلى المسلمين ، إنما أقسم الله تعالى بآدم وذريته ، فليس للنصراني أن يتسلط بالتحريف على كتابنا كما تسلط على كتابه . "(٣)

قوله :" وسبب تجسم الكلمة أن اللطيف لا يظهر إلا في الكثيف كما خاطب الله موسى عليه السلام من العوسجة " ، فرد الإمام القرافي وقال:" هذا أيضاً من جهالات النصرانية ، فلم قلتم أن اللطيف لا يظهر إلا في الكثيف ؟؟ ، بل يجوز أن يخلق الله تعالى لنا علماً ضرورياً لكل لطيف على ما هو عليه ، من غير أن يحل ذلك اللطيف في غيره ولا يتحد بسواه ، كما أن الخلق يعلمون وجود الله تعالى وصفاته العلا بدلالة صنعته عليه قبل ما تدعونه من الاتحاد الحادث في زمن عيسى عليه السلام

---

(١)الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على الملة الكافرة .للإمام القرافي ص٦٢

(٢) سورة البلد آية (٣)

(٣)الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على الملة الكافرة .للإمام القرافي ص٦٢

ويلزم النصارى في هذا المقام أمور شنيعة إما بطلان مذهبهم إن صح ظهور اللطيف مع الغنى عن الكثيف ، أو يكون أبو الخلائق آدم عليه السلام وغيره من الأنبياء عليهم السلام وجميع الخلائق لم يظهر لهم صفات الله تعالى وكمال ذاته شيء قبل عيسى عليه السلام إن لم يكن قبله اتحاد ، لأن هذا الاتحاد شرط للظهور عندهم ، وإن كان الظهور حاصلاً قبله كان الاتحاد الحاصل لعيسى حاصل لجميع الخلائق العالمين بالله تعالى وبصفاته، وللذين ظهرت لهم الصفات الربانية والمعارف الإلهية ، وحينئذ لا اختصاص لعيسى عليه السلام ولا مزية له حتى يجعل ابن الله تعالى دون الناس أجمعين ، ولم يتحد الكلام لموسى عليه السلام بالعوسجة ، بل سمع كلام الله تعالى وهو قائم بذاته ، وقد تقدم استحالة مفارقة الصفة للموصوف فكيف ينتقل كلام الله تعالى للشجرة حتى يسمعه موسى عليه السلام، فهذا أيضاً من الافتراء على قصة موسى عليه السلام."(١)

قوله : الله وكلمته وروحه إله واحد ، فلا يلزمنا القول بثلاثة آلهة " كما تقول :" الإنسان وعقله وحياته ثلاثة وهو إنسان واحد "، فرد الإمام القرافي وقال:" بل يلزمكم لأنكم قلتم الكلمة انتقلت للمسيح عليه السلام ، فاستحق العبادة لأجل ما انتقل له من الكلمة ، والله يستحق العبادة لذاته من غير أن ينتقل له من غيره شيء ، والروح القدس الذي هو الحياة ، ونحن ننكر عليكم هذا الإطلاق أيضاً لما فيه من إيهام بأحوال الأجسام الحيوانية سوية بالله تعالى ، وتقولون في صلاتكم :" والروح القدس مساو لك في الكرامة ، ولا تفضلون أحد الثلاثة على الآخر فالثلاثة عندكم مستوية مستحقة للعبادة والخضوع فلكم ثلاثة آلهة بالضرورة ، ووزانه في الإنسان أن تعتقد أن عقله قد انتقل للجمل فاستحق تعظيماً كتعظيم الإنسان لأجل ما انتقل ، وروحه أيضاً تستحق تعظيم الإنسانية ، فيكون لنا ثلاثة أناس جزماً ، وإنما كان الإنسان واحداً لأن صفاته لم تتعداه ولم تعدل صفة من صفاته ذاته في التعظيم ، بل المعظم واحد ، وهو الإنسان لما اشتمل عليه من كمال

(١)الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على الملة الكافرة .للإمام القرافي صـ٦٥

العقل وجميل الصفات ، فكان ينبغي للنصارى إذا قصدوا هذا المعنى أن يقولوا كما قال المسلمون : المعظم باستحقاق العبادة والعبودية واحد ، وهو الله تعالى لكمال صفاته وشرف بذاته ، وليس شيء من صفاته مستحق للعبادة كان منتقلاً لوجود الانتقال ، أو كانت الصفة قائمة بذاته ، ولا يستحق للعبادة الموجبة للإلوهية إلا ذات واحدة موصوفة بصفات الكمال ، لا شيء من صفاتها ولا غير صفاتها ، فهذا هو التوحيد المحقق الذي عليه المسلمون "(١)

رابعاً : شبهة الأقانيم عند النصارى ورد الإمام القرافي عليهم

عرض الإمام القرافي شبهة اتخاذ النصارى للأقانيم وقال :"قال النصارى :" إن قال المسلمون: لم أطلقتم لفظ الابن والروح الأقانيم، مع أن ذلك يوهم أنكم تعتقدون تعدد الآلهة، وأن الآلهة ثلاثة أشخاص مركبة، وأنكم تعتقدون ببنوة المباضعة ؟ قلنا للمسلمين: هذا كإطلاق المتشابه عندكم من لفظ اليد، والعين، ونحوها، فإنه يوهم التجسيم، وأنتم لا تعتقدونه."(٢)

ورد الإمام القرافي على هذه الشبهة وقال :" والجواب: وأما ما كان من المتشابهات التي بيَّنها العلماء والواردة في قوله تعالى: وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ "(٣) ، فإنما يطلق المسلمون المتشابه بعد ثبوته نقلا متواترا نقطع به عن الله تعالى أنه أمر بتلاوته امتحانا لعباده ليضل من يشاء، ويهدي من يشاء، وليعظم ثواب المهتدين حيث حصلت الهداية بعد التعب في وجوه النظر، ويعظم عذاب الضالين حيث قطعوا لا في موضع القطع، ولم ينقلوا ذلك عن أمره كما اتفق ذلك في الإنجيل؛ بل ما اقتصر المسلمون على الجمع القليل، بل ما اعتمدوا على العدد الذي يستحيل عليهم الكذب، فلما تحققوا أن الله أمرهم بذلك نقلوه، وأما النصارى فأطلقوا بعض ذلك من قبل أنفسهم، كالأقانيم والجوهر، وبعضها نقلوه نقلا لا تقوم به حجة في أقل الأحكام، فضلا عن أحوال الربوبية، فهم عصاة لله تعالى حيث أطلقوا عليه ما لم يثبت عندهم بالنقل، بل لو طولبوا بالرواية لإنجيلهم لعجزوا عن الرواية ،

---

(١)المصدر السابق صـ٦٥
(٢)المصدر السابق صـ٦٥
(٣)سورة (آل عمران: آية (٧)

فضلا عن النقل القطعي، فلا تجد أحدا له رواية في الإنجيل يرويه واحد عن واحد إلى عيسى عليه السلام، وأقل الكتب عند المسلمين من الارتياب وغيرها يروونها عن قائلها، فتأمَّل الفرق بين الاثنين، والبون الذي بين الدينين؛ هؤلاء المسلمون ضبطوا كل شيء، والنصارى أهملوا كل شيء، ومع ذلك يعتقدون أنهم على شيء ."(١)

قال الإمام القرافي :" قال النصراني : قال : المسلمون ينكرون علينا إطلاق الجوهر على الله تعالى وليس بمنكر ، لأن الموجودات منحصرة في : الجواهر والأعراض ، ولأن الموجود إما :

١- غير مفتقر في الوجود إلى غيره (وهو الجوهر) .
٢- أو مفتقر في وجوده إلى غيره (وهو العَرَض) ولا وساطة فى قولنا مفتقر فى وجوده وغير مفتقر ، ويستحيل عليه تعالى أن يكون عرضاً ، فيتعين أن يكون جوهراً لضرورة الحصر فيهما ، وأما قول المسلمين :" إن الجوهر هو الذى يقبل العرض فيشغل الحيز فيستحيل إطلاقه على الله تعالى ، فليس كذلك ، بل الذى يشغل الحيز ويقبل العرض عو الجوهر الكثيف ، أما اللطيف كالضوء والنفس والعقل فلا "(٢)

رد الإمام القرافي على ذلك وعرف معنى الجوهر والعرض والنفس والضوء وقال :" هذا كلام من لا يعلم الجوهر ولا يعرف العرض ، ولا يضبط علماً من العلوم كهذا النصراني فإن خصيصتهم ، أما ما يفتقر في وجوده لغيره فهو الممكن ، وما لا يفتقر بوجه من الوجوه فهو الواجب ، فهذا تفسير الواجب والممكن لا تفسير الجوهر والعرض ، فأين أحد البابين من الآخر ، بل الجوهر والعرض كلاهما من أقسام ما يفتقر فى وجوده إلى غيره ، فنتبرع للنصارى الآن بتفسير هذه الحقائق فنقول : **الجوهر** : هو المتحيز لذاته الذى لا يقبل القسمة ، فقولنا لذاته " احتراز من العرض فإنه متحيز لأجل قيامه بالجوهر ، وقولنا : لا يقبل القسمة احتراز من الجسم فإنه

(١)الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على الملة الكافرة .للإمام القرافي صــــ٦٧
(٢)المصدر السابق صـ٦٧

يقبل القسمة ، فالجسم هو المتحيز لذاته الذى يقبل القسمة ، وقد ظهرت فائدة هذه القيود مما تقدم .

والعرض : هو المعنى المفتقر إلى متحيز يقوم به ، لا أنه يفتقر إليه فى وجوده ، بل وجود العرض وغيره من الله تعالى إذا تقرر هذا ظهر خطؤهم فى اطلاق لفظ الجوهر على الله تعالى فظهر بطلان تفسيرهم للجوهر والعرض ، بل على تفسيرهم للعرض يلزم ألا يكون القابل للعرض والشاغل لحيز جوهراً ، لأن وجوده من الله تعالى هو خالق المتحيزات وغيرها .

ومن العجيب قوله :" إن الجوهر اللطيف لا يشغل حيزا ولا يقبل عرضاً " ثم مثله بالنفس والعقل والضوء .

أما النفس : فإنها متحيزة وهى تقوم بها الأعراض لأنها تقوم بها العلوم والظنون والاعتقادات والآلام واللذات وغير ذلك ، وكلها أعراض نفسانية ، لكن لا يعرف حقيقة العرض ، فلذلك نفى الأعراض عن النفس.

وكذا العقل يقوم به الفكر والعبر والعلوم والمعارف وغيرها ، وهى أعراض ، وأما الضوء : فعرض يقوم بجواهر الهواء ، ليس من الجواهر فى شيء وهو يعتقد أنه جوهر فمثله به ، فحديث النصارى كله عجب ، حتى لو وجد عندهم صواب كان عجباً "[(١)]

وختم الإمام رده على هذه الشبهة بإفحامهم وقال :"نقول للنصارى ، زعمتم أن معبودكم ثلاثة أقانيم : الوجود ، الحياة ، العلم أو الكلام على اختلافهم فى الدليل على الحصر فى ثلاثة ، ولعله أربعة ، الرابع هو القدرة ، لأنها التى بها ظهرت العوالم ، أو خمسة والخامس هو : الإردة لأنها القضاء والقدر التى بها تخصيص المصنوعات وترتيب الموجودات ، وهى القاهرة المقدسة على جميع الإرادات ، أو ستة ، والسادس هو : البصر فإنه إدراك وعلم أخص مما ذكرتموه من العلم ، فكل بصر علم ، وليس كل علم

---

(١)الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على الملة الكافرة .للإمام القرافي صـ٦٨

بصر ، فهذه الصفات كلها ثابتة لله فى التوراة والإنجيل ، أو سبعة ، أو عشرة آلاف ، ولا يلزمنا بيان ذلك بل عليهم الدليل فى حصر ما ذكروه ، ولن يقدروا عليه أبداً ، فدل ذلك على أنهم ليسوا على دين ، ولا فى شيء من أمرهم على يقين "(١)

خامساً : شبهة الاتحاد عند النصارى ورد الإمام القرافي عليهم :

وضح الإمام القرافي قول النصارى بالاتحاد وادعائهم على المسلمين بهذا القول فقال الإمام القرافي :" قال النصارى : القرآن ناطق بجواز الاتحاد فلا ينكر علينا ، بيانه : أن فيه أن الله تعالى كلم موسى عليه السلام تكليماً ، وأجمعت الملل على أنه كلمه يصوت ، فنقول : هذا الصوت يستحيل أن يقوم به ، لأنه تعالى ليس بجسم فيكون قائما بشجرة العليق بوادي المقدس ، وتمون الشجرة هى المتكلمة ، وقد قالت :" إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي "(٢) وقالت :" ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ " (٣) ، فخاطبت بأنها الله تعالى وخاطبها موسى بأنها الله تعالى ولولا الاتحاد بين ذات الله تعالى وذات الشجرة لما صح الكلام ولا جوابه ، ولا قول الملك أن الله تعالى كلم موسى عليه السلام تكليما ، بل إنما كلمته الشجرة حينئذ ، وإذا صح الاتحاد بالشجرة صح بذات عيسى عليه السلام وصح لنا أن نخاطبه بأنه الرب ، وبأنه الله تعالى اقتداء بموسى عليه السلام فنحن على الحق حينئذ والمسلمون غالطون في تكفيرنا بذلك."(٤)

رد الإمام القرافي على هذه الشبهة كالآتي :

أما قوله :" إن الملل متفقه على أن الله تعالى كلم موسى عليه السلام بصوت ":رد الإمام القرافي وقال :" فكذب وفجر والتقم بفيه الحجر ، إذ لم يقع في ذلك اتفاق ، بل جمهور المسلمين على أن الله تعالى لم يكلم موسى عليه السلام بصوت ، بل أسمعه كلامه النفسي القائم بذاته من غير حرف

---

(١)المصدر السابق صـــ١٣٦
(٢) سورة طه آية(١٤)
(٣) سورة طه آية(٤٥)
(٤)الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على الملة الكافرة .للإمام القرافي صـــــ١٠٩

ولا صوت ، وإذا لم يكلمه الله تعالى بصوت بطل السؤال من أصله .....وأما القائلون بأنه كلمه بصوت فقالوا : خلق الأصوات والكلام في شجرة دالة على ما قام بذاته تعالى وكانت الشجرة مبلغة عن الله تعالى كما تبلغ الملائكة من غير اتحاد ولا حلول ، وكما يحسن أن يقال : إن الله تعالى خاطب موسى عليه السلام على لسان الملك ، ويقال هو كلام الله ، فكذلك الشجرة الأصوات فيها مبلغة عن الله تعالى والمتكلم في الحقيقة هو الله تعالى والوسائط من الملائكة وغيرها ، لا يمنع كون ذلك كلام الله تعالى بهذا التفسير، لذلك أجمعت الملل على أن الكتب التي بلغتها الملائكة كالتوراة والإنجيل والزبور وغيرها كلام الله تعالى ، وإن كانت تلك التصورات وتلك اللغات بالعبرانية وغيرها ، لم تقم بذات الله تعالى لاستحالة قيام الحوادث بذاته تعالى هذا على القول بأن الذي سمعه موسى صوت وهو ليس بصحيح ، وإنما أردت أن أبين فساد السؤال على القولين ، وأما على الصحيح وهو أنه عليه السلام إنما سمع الكلام النفسي الذي هو صفة ذات الله تعالى القائم به من غير حرف ولا صوت ."[1]

ووضح الإمام القرافي قاعدتين لذلك :

القاعدة الأولى : أن كل عاقل يجد في نفسه الأمر والنهى والخبر عن كون الواحد نصف الاثنين ، وعن حدوث العالم وغير ذلك ، ثم أنه يعبر عن ذلك تارة بالعربية وتارة بالعبرانية وتارة بالفارسية ، فتختلف العبارات وهو واحد لا يختلف في نفس المعبر ، فذلك الذي لا يختلف هو الكلام النفسي ، والمختلف هو الكلام اللساني ، والأول هو الذي ندعى أن الله تعالى متصف به .

القاعدة الثانية : أن علم الحواس أجلى من علم النفس ، بدليل أن من فتح بصره فرأى زيداً ثم أغمض عينه فإنه يقطع بوجوده حالة التغميض كما يقطع بوجوده حالة فتح البصر ، ونحن نقطع بأن القطع الحاصل حالة فتح البصر أجلى وأقوى من القطع الحاصل حالة التغميض ، وكذلك سائر

---

(١)الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على الملة الكافرة .للإمام القرافي ص١١٠

الحواس ، وإذا تكرر هذا ظهر أن إدراك الحواس علم خاص أجلى من مطلق العلم ، وهو ممكن الوجود ، والقدرة الربانية يمكن إيجادها لكل ممكن ، فيخلق الله تعالى هذا العلم الخاص الذي هو السمع في نفس موسى عليه السلام متعلقاً بصفات الكلام القائم بذات الله تعالى فهذا هو سماع موسى عليه السلام لكلام الله تعالى النفسي وبه باين من يعلم هذه الصفة ولم يسمعها ، لأن من يعلم قيام كلام الله تعالى بذاته منا إنما يعلمه بأصل العلم العام ، وأما هذا العلم الخاص الجلي فلم يحصل لنا ، وسمى الخاص سماعاً لأن إدراكات الحواس الخمس إنما هي علوم خاصة أخص من مطلق العلم ، فإذا وجد هذا العلم الخاص سمى باسمه الموضوع له في اللغة ،فليس من شرط علوم الحواس أن تكون بالأعضاء المخصوصة لأن الأعضاء المخصوصة أجسام وجواهر ، والأجسام والجواهر متماثلة ، وكل ما جاز على أحد المثيلين جاز على الآخر ، فكما جاز أن يخلق عالم السماع في الأذن ، جاز أن يخلق في سائر جهات البدن وفى جاهر النفس كما اتفق لموسى عليه السلام ."(١)

ووضح الإمام القرافي ضلال النصارى أيضاً وقال :" قال النصارى : دل القرآن على الاتحاد والمسلمون ينكرون ذلك أنه لما ذكر الله تعالى يحيى عليه السلام قال في حقه :" وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا "(٢) ولما ذكر عيسى عليه السلام قال في حقه : وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ "(٣)، فاتحد المسلم والمسلَم عليه في حق عيسى عليه السلام لأجل ما اختص به من الاتحاد ، ولما لم يحصل الاتحاد ليحيى عليه السلام سلم الله تعالى عليه بصيغة التعدد ، فقال :" وسلام عليه " ،وهذا نص جلي في الاتحاد في حق عيسى عليه السلام دون غيره ، ولا يحتاج معه إلى غيره ، مع أن المسلمين ينكرون ذلك في حق عيسى عليه السلام وهو في كتابهم "(٤)

---

(١)الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على الملة الكافرة .للإمام القرافي ص ١١١

(٢) سورة مريم آية (١٥)

(٣) سورة مريم آية (٣٣)

(٤)الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على الملة الكافرة .للإمام القرافي ص١١٢

رد الإمام القرافي وقال:" أن هذا اغترار بما لا طائل تحته ، لأن كل واحد منا يحسن منه أن يقول في حق نفسه : الرضوان والسلام والرحمة على سبيل الدعاء إن لم يعلم وقوع ذلك له ، أو على سبيل الخبر ن علم وقوع ذلك له مع القطع بعدم اتحاد شيء بذاته ، بل لأن اللفظ العربي يقتضى ذلك ، وأي غريب في قول عيسى عليه السلام "والسلام علي "أى من الله تعالى كما تقول صلوات الله عليه ورضوان الله علي وفضله ونعمته " بل تسليم الله تعالى على يحيى عليه السلام أفضل من قول عيسى عليه السلام : والسلام علي " لأن خبر الله تعالى عن يحيى عليه السلام وحصول السلامة له واقع قطعاً ، وخبر الله تعالى صدق وكلام عيسى عليه السلام دعاء ، والدعاء ليس من لوازمه الإجابة ، واللازم الوقوع أفضل من غير اللازم الوقوع ، وأخبار الله تعالى عن العبد أفضل من أخبار العبد عن العبد ، لمزيد من شرف الربوبية على العبودية ، فظهر أن متمسكاتهم أوهام وأضغاث أحلام "[(١)]

منهج الإمام القرافي في الرد على شبهات النصارى الخاصة بالإلهيات من خلال كتابه الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على الملة الكافرة.

استخدم الإمام القرافي المنهج العقلي في الرد على النصارى في شبهاتهم الباطلة مستخدماً في ذلك الأساليب الآتية :

١- أسلوب السبر والتقسيم

استخدم الإمام القرافي هذا الأسلوب في الرد على شبهة إلوهية عيسى عليه السلام حيث حصر المسألة في أمرين اثنين إما أن يقروا بعبودية عيسى عليه السلام وذلك في حال اعترافهم بأن الإله يستحيل أن يكون جسماً ودماً ، لأن الأناجيل الأربعة من أولها إلى آخرها تشهد بأن عيسى عليه السلام كان جسماً ولحماً ودماً ، وإما أن يقروا بتكذيبهم الكتب المقدسة ، وذلك إن قالوا إن الإله يكون جسماً ولحماً ودم ، لأن نصوص كتبهم لا تقول

---

(١)الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على الملة الكافرة .للإمام القرافي ص ١١٣

بذلك فلم يبق إلا الأمر الأول وهو استحالة كون الإله جسداً ، وعليه فعيسى عليه السلام بشراً وليس إلهاً، فحصر الإمام القرافي رده حصراً منطقياً فالشيء الثابت عند النصارى أن الأنبياء السابقين عندهم كانوا أنبياء حق فمن ادعى أن هؤلاء الأنبياء ما كانوا يعتقدون إلوهية المسيح أدى قولهم إلى تكفير النصارى بهؤلاء الأنبياء لعدم إيمانهم بالإله الحق .

٢- أسلوب قياس الأولى:

استخدم الإمام هذا الأسلوب في رده على شبهة بنوة المسيح عليه السلام ، فبين أن حجة النصارى في ادعائهم ببنوة المسيح حجة داحضة مبنى على دليل خاطئ وهناك دليل يعارضه ، فقال :" ومن العجب أنهم يحتجون على ضلالهم بأن الذي ألجأهم إلى أنه ابن الله تعالى الله عما يقولون كونه خلق من غير أب من البشر ، فيتعين أن يكون أبوه هو الله تعالى وآدم أولى منه بذلك لكونه خلق من غير أب ولو يباشر الأرحام ولا سقم الأطفال ولا تطور في أطوار البشر "(١)، فآدم أكثر أهلية من عيسى في الحصول على النبوة فبطلت هذه الشبهة ، والعلة متحققة في غير المسيح وهو أبو الأنبياء آدم عليه السلام فهذه العلة غبر كافية لما ذهب إليه النصارى ، ووضح اختلاف مدلول لفظ الآب والابن والإله في نصوص الإنجيل موظفاً اللغة العربية بمدلولها اللفظي المجازى في توضيح جهلهم باعتقادهم

٣- أسلوب الإلزام :

استخدم الإمام هذا الأسلوب في رده على شبهة التثليث وإصرار النصارى بالقول بذلك ،وأثبت أن النطق هو صفة قائمة بذات الله أرسله من غير مفارقة لأن صفات الله لم تنتقل منه لتستقر في مخلوق آخر أيا كان لأن ليس لمخلوق أن يكون له صفة تماثل صفة الله تعالى ، وإن قال النصارى أن النطق هو ابن الله فكيف يصلب ويقتل وأن قالوا أن النطق يعنى إخبار الله تعالى بوجود عيسى في الأزل فهذا يعنى اشتراك جميع اليهود مع عيسى في هذه الصفة مما يعنى لا وجود للنصرانية معنى ، فألزمهم في هذه الشبهة

---

(١)الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على الملة الكافرة .للإمام القرافي صـ١٢١

مناقضة العقول تؤدى إلى قلب حقيقة النصرانية جميعها وأيضاً الإلزام بالكفر لمخالفة ذلك كتبهم والأمانة والصلوات ، فكان الإمام القرافي طويل النفس في رده على هذه الشبهة .

ألزم الإمام القرافي النصارى في شبهة الاتحاد والحلول بما هو غير معقول بأن تصير المعاني أجساماً وتتحرك وتنتقل وأبطل عقيدتهم في حين موت الباري في فترة اتحاد الكلمة بعيسى عليه السلام .

٤-استخدام المصطلحات الجدلية والفلسفية :

ابتعد الإمام القرافي عن المصطلحات الفلسفية في أغلب ردوده على الشبهات ، وأورد بعض المصطلحات بشكل محدود جداً عند تفسير كلمة :"الجوهر " وتفسير كلمة العرض عند رده على شبهة الأقانيم ، فوضح الخلط الحادث بين الجوهر والعرض فظهر أن النصراني أخطأ لفظاً ومعنى حيث أطلق الجوهر على الله وهو لا يعرف معناه . وأفحم النصارى بأن زعمهم بالأقانيم والصفات دال على معدومية الدين عندهم .

المنهج النقلى عند الإمام القرافي عند رده على النصارى

استدل الإمام القرافي بالعديد من الآيات القرآنية التي تثبت بطلان كل شبهة من شبهات النصارى ولكنه لم يطل في سرد العديد منها ،ويرجع ذلك لكونه أصولياً فقيهاً لا مفسراً للقرآن ، وعلى الجانب الآخر استدل النصراني بالعديد من الآيات القرآنية لإثبات معتقدات النصرانية المتعلقة بعيسى عليه السلام في القرآن ولم يرد الإمام القرافي عليه من القرآن ولكنه اكتفى بإزالة الشبهة بتفسير الآية التي ذكرها النصراني ويظهر ذلك واضحاً عند تفسير قوله تعالى :" روح منه " في حق عيسى عليه السلام وأن صفة من صفات الله حلت في ناسوت عيسى عليه السلام وبين الإمام القرافي أن هذا غير ممكن عقلاً ووضح أن الأسلوب القرآني له ألوان شتى من التعابير والأساليب المختلفة التي تخضع لضوابط محكمة وقواعد ثابتة لا كما فسرها النصراني على هواه.

استدل الإمام القرافي بالعديد من نصوص الكتاب المقدس لإثبات وحدانية الله تعالى ونفى إلوهية عيسى عليه السلام و أن الله تعالى واحد لا شريك له وإثبات تحريف الكتاب المقدس الذي بين يدي النصارى ، ووضح

الإمام القرافي تناقض نصوص الأناجيل حتى استنبط أنها ليست وحياً ربانياً بل هي روايات وأقوال لأناس كتبوها وتناقلتها الأجيال بعدهم .

نقل الإمام القرافي العديد من نصوص العهد الجديد بشكل مجمل دون الإسناد إلى سفر ما أو ذكر النص صراحة أو ذكره مختصراً وأحياناً يذكر الدليل بالمعنى أو ذكر السفر في التوراة أو اسم الإنجيل ورقمه وأحياناً أيضاً لا يحدد موضع الشاهد فيقول في التوراة كذا ، ...أو في الإنجيل كذا ....، ولكنه اعتنى بنقل النص الكامل للأمانة التي وضعها النصارى في مجمع نيقية وتناولها بالنقد والتحليل ووضح ما فيها من تناقضات في ذاتها وتعارضها نصوص العهد القديم والجديد أيضاً ومخالفتها العقل والشرع .

الإمام القرافي بين التأثير والتأثر :

ذكر دكتور ناجي محمّد داود، محقِّق كتاب الأجوبة الفاخرة في جامعة أمّ القرى، أن كتاب التخجيل من المصادر الأساسية التي اعتمد عليها القرافي في الأجوبة اعتماداً مباشراً ، فقد نقل منه نصوصاً كثيرةً جدّاً بحيث يشبه أن يكون اختصاراً له، وعلى الرغم من أن الإمام القرافي لم يصرِّح بنقله من كتاب التخجيل، إلاّ أنّ ذلك يبدو واضحاً بمقارنة النصوص"(١)

تأثر الإمام القرافي بالإمام الجعفري باتخاذ الأول عدم إحاطة عيسى عليه السلام علماً بما حدث ليحيى بن ذكريا حتى أخبره التلاميذ ، وهرب المسيح إلى مكان ينفرد فيه من بطش هيرودس دليلاً على نفى إلوهية عيسى عليه السلام ، **وقال الإمام الجعفرى في هذا** :" ينبغي أن يقال للنصارى: ما الذي دفعكم إلى عبادة مخلوق يفزع عند الضرار إلى التقية والحذار، ويلجأ عند توقع المكروه إلى الفرار والاستتار في الجدار؟! " "(٢)

وأيضاً حزن عيسى عليه السلام ودعاؤه الله تعالى أن يأخر عليه الموت اعتبره الإمام القرافى دليلاً على عبودية المسيح وذكر الإمام الجعفرى ذلك وقال :" دليل آخر على عبودية المسيح ومساواته البشر، قال

(١)تخجيل من حرف الإنجيل(٦٧/١)

(٢)تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ، للإمام أبو البقاء الجعفرى (١٣٧/١)

مرقس في إنجيله: "قال يسوع: إن نفسي حزينة حتى الموت، ثم خرّ على وجهه يصلي لله وقال: أيها الأب كلّ شيء بقدرتك، أخّر عني هذا الكأس لكن كما تريد لا كما أريد أنا، فها هو سائل والله مسؤول. وأي عبودية تزيد على هذا؟!"[١].

وتأثر الإمام القرافي أيضا بالإمام نصر بن يحيى المتطبب عند رده عن تولد الأب والابن كتولد الشعاع من ضياء الشمس فقال الإمام نصر بن يحيى :"وقولهم في تسبيحة إيمانهم "إن الابن من جوهر أبيه" وإذا كان الأب والابن قد اشتركا في أمر جوهري عمهما عموم طبيعته، فبم انفصل أحدهما عن الآخر؟ ، لا يخلو أن يقولوا انفصل؛ فلا فرق بين الأب والابن ولم كان الأب مولدا بأولى أن يكون الابن مولدا للأب؟ ، وإن قالوا انفصل بفصال؛ أثبتوا التركيب لكل واحد منهما، وهم يأبون ذلك، ولا يلزمنا نحن مثل ذلك لأنا لا نقول إن الباري – سبحانه وتعالى – من جنس شيء آخر فيحتاج إذا انفصل عن ذلك الشيء كان مركبًا، وإذا جاز أن يتولد عن الأب ذات فيما لم يزل، مثل تولد ضياء الشمس عن الشمس، ولا يكون متقدما عنه بزمان، جاز أن يكون العالم بأسره متولداً عن الأب على هذه الجهة، وفي ذلك قدم العالم والاستغناء عن تولد ابن ليخلق العالم ."[٢]

وفى رد الإمام القرافي على النصارى في شبهة الاتحاد والحلول تأثر بالإمام القرطبي باحتجاجهم بتكليم الله تعالى لموسى بجواز الاتحاد ، فقال الإمام القرطبي :" فكيف يسوغ لك أن تجنح بما أنت منكر لأصله ولا تعترف بأنه كلام الله وأنت منكر لتصديق من جاء به فلا يحل لك أن تحتج لنفسك ولا لغيرك بما تعتقد أنه كذب وأما نحن فيمكننا أن نحتج عليكم وعلى اليهود بالتوراة والإنجيل لأنا نعتقد أن الله تعالى أنزل التوراة على موسى والإنجيل على عيسى وهما هدى قبل أن يغيرا ويبدلا وينسخا بغيرهما ،وأما اليوم بعد أن ثبت عندنا ما ذكرته فلا نحتج بشيء منهما على جهة انتزاع الأحكام ... **ثم نقول** إن الله تعالى كلم موسى بكلامه الذي هو صفته وسمعه

(١)المصدر السابق (١٥٥/١)
(٢)النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، للإمام نصر بن يحيى بن عيسى بن سعيد المتطبب صـ٦٤

موسى بالإدراك الذي خلقه الله له وقولك كيف ظلم وحيف إذ سؤالك بكيف في هذا المحل دليل على أنك جاهل بمطلبها فينبغي لك أن تعلم أن صيغ المطالب كثيرة وهي مع كثرتها لا يتوجه شيء منها على الله تعالى وعلى صفاته وذلك أن من صيغ المطالب ما وأي ولم وكيف ومتى وأين وغيرهما مما في معناها ولا يتوجه على الله تعالى بشيء منها لاستحالة معانيها على الله تعالى فلا تسأل عنه ب ما ولا ب أي إذ لا جنس له ولا فصل ولا ب لم إذ لاعلة له ولا أصل ولا ب متى إذ هو مقدر الزمان ولا ب أين إذ هو خالق المكان ولا ب هل إذ لانشك في وجوده وهو خالقنا ولا ب كيف إذ لايناسب جوده ولا صفاته شيئا من أحوالنا وأوصافنا، وجوده إثباته وإثباته ذاته وعلمه كل شيء صنعه ولا علة لصنعه لا يتوجه لمخلوق عليه حق ولا يعجزه خلق ليس كمثله شيء وهو السميع البصير "[١]

(١)الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، للإمام القرطبي صـــ ١٠٦-١٠٨

مراجع البحث

١) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على الملة الكافرة .للإمام القرافي ، تحقيق مجدي محمد الشهاوى ، عالم الكتب ، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م ، بيروت ، لبنان.

٢) الإحكام في أصول الأحكام ، للإمام الآمدي ، المكتب الإسلامي، (دمشق - بيروت)، الطبعة: الثانية، ١٤٠٢ هـ.

٣) أدلة اليقين في الرد على مطاعن المبشرين للجزيرى ، منشورات أسمار ، باريس.

٤) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ، للإمام الجوينى ، تحقيق د /محمد يوسف موسى ، ود / على عبد المنعم عبد الحميد ، مكتبة الخانجى ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م.

٥) أصول البحث ، د عبد الهادي الفضلى ، الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية ، الطبعة الأولى، بيروت ، دار المؤرخ العربي ، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م

٦) إظهار الحق محمد رحمت الله الهندي الحنفي دراسة وتحقيق وتعليق : الدكتور محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي ، الأستاذ المساعد بكلية التربية جامعة الملك سعود – الرياض ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – السعودية ، الطبعة : الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.

٧) النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، للإمام نصر بن يحيى بن عيسى بن سعيد المتطبب ،تقديم وتحقيق وتعليق :الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي ، دار الصحوة للنشر ، القاهرة ١٩٨٦ م